



مكتب الخدمات الصحفية لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة

افتتاح مكتبة الإسكندرية من ورق البردي إلى المكتبة الرقمية

باريس، 9 تشرين الأول/أكتوبر - تفتتح مكتبة الإسكندرية رسمياً (وهي أكبر مكتبة في الشرق الأوسط وإفريقيا) في 16 تشرين الأول/أكتوبر الجاري. ويسجل هذا التاريخ الولادة الثانية للمكتبة ذات السمعة الأسطورية، التي أنشأها بطليموس الأول قبل نحو ألفي عام في شمال مصر. ويأتي الحفل - الذي حدّد مواعده الأصلي في 23 نيسان/أبريل وأرجئ بسبب أحداث الشرق الأوسط - تكريساً لعمل هندسي استثنائي تستخدم فيه تكنولوجيا المعلوماتية الأكثر حداثة.

يرأس الحفل الافتتاحي رئيس جمهورية مصر العربية حسني مبارك، بحضور حشد من رؤساء الدول والشخصيات من العالم أجمع، ومدير مكتبة الإسكندرية إسماعيل سراج الدين، ورئيس مؤتمر عام اليونسكو، أحمد جلال، ممثلاً المنظمة.

انطلاقاً من اقتناعها بضرورة تزويد الإسكندرية ومنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط بعمامة بمركز علمي وثقافي بامتياز، حرصت اليونسكو على توفير البُعد الدولي للمشروع منذ بداياته. وبمناسبة افتتاح مكتبة الإسكندرية، لنتذكّر بأنّ الولادة الثانية لهذه المؤسسة الفريدة تندرج في صميم المهمة التي تقع على عاتق اليونسكو، والمتمثلة في تنمية المعرفة ونشرها بهدف التأكيد على الهوية وعلى التنوع الثقافي، والتفاهم المتبادل والحوار بين الحضارات. وستشكل مكتبة الإسكندرية الجديدة مركزاً ثقافياً وتربوياً ديناميكياً يشهد على نمو التفاهم بين الثقافات، بحسب مدير عام اليونسكو، كويشيرو ماتسورا.

ويُذكر أنّ مكتبة الإسكندرية تشكل، على غرار أوبرا سيدني ومتحف غوغنهايم في نيويورك، إنجازاً هندسياً استثنائياً. وهي تتسع لثمانية ملايين كتاب (وتعدّ حالياً 240 000). كما أنها تضع في متناول الجمهور 500 حاسوب لمراجعة قائمة الكتب المتوقّرة وبلوغ المواقع الإلكترونية على شبكة الويب لأبرز المراكز الدولية للتعليم، والتي قام باختيارها أمناء المكتبة.

أمّا القاعة المخصّصة للمطالعة، فهي فريدة من نوعها: فسحة مفتوحة على مساحة سبعين ألف م² ومقسّمة على أحد عشر مستوى لاستيعاب 1700 شخص. وبالنسبة لإسماعيل سراج الدين، تشكل هذه القاعة ليس فقط "أكبر قاعة للمطالعة في العالم"، وإنما أيضاً "أكثرها جمالاً". فالنور الطبيعي الخافت الذي يرشح عبر أنحاء المكان وارتفاع السقف القائم على مجموعة من الأعمدة يولدان جواً ملائماً للدراسة، جديراً بأن يوصف بـ"كاتدرائية المعرفة"، يضيف سراج الدين.

.../...

يظهر المبنى على شكل قرص شمسي صاعد من الأرض في مواجهة البحر. مطمور في جزء منه ويبلغ ارتفاعه الإجمالي 160 متراً. ويحيط به سور من حجر أسوان (غرانيت) على شكل هلال نُقِشت عليه حروف من الأبجدية بمائة وعشرين لغة مختلفة. ويرمز هذا الصرح إلى الانفتاح وإلى عظمة المعرفة. وهو من تصميم مكتب الهندسة النروجي "سنوهيتا" الذي فاز في عام 1989 بالمباراة التي نظمتها اليونسكو. وتمت أعمال البناء تحت إشراف المهندس المصري ممدوح حمزة الذي قبل التحدي المتمثل في بناء جزء من الصرح عند 18 متراً تحت مستوى البحر.

وبالإضافة إلى المكتبة، يشتمل المبنى على مركز للمؤتمرات يستوعب 3200 شخص، وقبة فلكية، ومكتبة طه حسين للمكوفين التي تحتوي على كتب بالأحرف النافرة (براي) التي تقرأ بالمس، والتي صنعت بواسطة التكنولوجيا الرقمية. كما يشتمل المبنى على مكتبة للأطفال، و خمسة معاهد للأبحاث، نذكر منها المعهد الدولي لعلوم الإعلام، ومختبر حفظ المخطوطات. كما يحتوي على مركز للإنترنت، وعلى ثلاثة متاحف للمخطوطات، وفن الخط، والعلوم، وأربع صالات للعروض الفنية. ويشكل الصرح، بحسب إسماعيل سراج الدين، "معلماً ثقافياً دولياً بارزاً".

وتجدر الإشارة إلى أنه تم حفظ جزء من المخطوطات والكتب النادرة (البالغ عددها عشرة آلاف) من مجموعة المكتبة بفضل استخدام وسائل التكنولوجيا الرقمية. فما على الزائرين مثلاً سوى لمس شاشة الحاسوب لتقليب الصفحات الإلكترونية من نسخة قديمة جداً من القرآن الكريم. ذلك أن الاستعانة بتلك الوسائل تضمن حفظ الوثائق القيمة وتسمح للباحثين وللجمهور على السواء بالاطلاع على كافة النسخ بسهولة مطلقة. وفي مرحلة أولى، ستكون هذه الإمكانيات محصورة في المتحف نفسه، على أن يُعمم بلوغ هذه الوثائق في فترة لاحقة عن طريق الإنترنت.

ولعل ما يُتوقع لهذا المركز الثقافي الدولي الكبير أن يتحوّل إلى نقطة لقاء للمفكرين والفنانيين والعلماء من العالم أجمع. هذا ويأمل إسماعيل سراج الدين أن يكتشف السياح الإسكندرية ثانياً من خلال مكتبتها، "وهي المدينة التي اكتسبت شهرتها بفضل منارتها المعروفة، وإنما أيضاً لما كانت تمثله بوصفها منارة فكرية مُشعّة للإنسانية على مدى ستة قرون متواصلة، فكتب من وحيها الكبار، مثل كاليماك وقسطنطين كافافيس ولورنس داريل".

تكلفت الحكومة المصرية 120 من 220 مليون دولار الضرورية لتمويل المشروع. أما بقية المبلغ (100 مليون)، فقد توفّر على شكل هبات دولية. "إنّ استثماراً بقيمة 120 مليون دولار على فترة عشرة أعوام ليس مفرطاً قياساً ببلد يعدّ 67 مليون نسمة، خاصة وأنّ الهدف من هذا الاستثمار هو إنشاء مركز للبراعة والتميز"، يقول سراج الدين.

شاركت اليونسكو في هذا المشروع منذ عام 1986، مع ولادة فكرة بناء مركز متطورّ للتعليم والبحث لتعيد رفع بريق رسالة المكتبة القديمة. وفي عام 1987، أطلقت اليونسكو نداءً دولياً لإعادة إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة، وقامت بإجراء دراسة جدوى أثبتت أنّ منطقة حوض المتوسط بحاجة لمكتبة كبرى. وفي واقع الأمر أنّ إحدى أولويات مكتبة الإسكندرية تكمن تحديداً في توفير مجموعة شاملة من الكتب التي تُعنى بالحضارات المتوسطة.

.../...

عام 1988، نظمت اليونسكو بالتعاون مع الاتحاد الدولي للمهندسين المعماريين وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية مباراة دولية للهندسة المعمارية. ووقع اختيار لجنة التحكيم على مشروع مكتب "سنوهيتا" النروجي من بين 1400 مشروع من 77 بلداً. وفي عام 1990، شاركت المنظمة في تنظيم اجتماع أسوان الذي أثمر عن أول مساهمة مالية دولية في المشروع (65 مليون دولار أميركي)، وقد جاء القسط الأكبر منها من البلدان العربية.

كما وقرت اليونسكو مزود خدمات إنترنت بالإضافة إلى موارد مالية لتطوير موقع المكتبة على الشبكة. وساهمت المنظمة أيضاً في إنشاء مكتبة إلكترونية للمكفوفين ومختبر لحفظ المخطوطات. كما قدمت موارد لتدريب أمناء المكتبة، ولإعداد المراجع. وتم توفير المساعدة كذلك لإعداد الوثائق التقنية والتوجهات العامة في مجال النظم المعلوماتية الخاصة بالمكتبة، وصيانتها، وشراء التجهيزات، وتمويل برنامج المعهد الدولي لعلوم الإعلام الذي أقيم في مبنى المكتبة.

ولا بدّ من التذكير أنّ مكتبة الإسكندرية القديمة، التي أنشأها بطليموس الأول عام 288 قبل الميلاد، كانت تشكّل جزءاً من معبد "ربات الشعر" الذي كان يشمل جامعة الإسكندرية، إحدى أولى الجامعات في تاريخ الإنسانية، وحيث كان يلتقي الشعراء والعلماء والفنانون الذين كانوا يحلون ضيوفاً على سلالة بطليموس. وكانت المكتبة تعدّ حوالي 700 ألف مخطوط يرقى بعضها إلى القرن الثالث قبل المسيح. وفي عهد سلالة بطليموس، كانت المكتبة تتمتع بـ"حقّ الإيداع القانوني" على اعتبار أنّها تميّزت بحقّ إعداد نسخ من الكتب الواردة إلى البلاد كافة. وتعرضت المكتبة للعديد من الحرائق وللسلسلة من الهجمات - موزعة على أربعة قرون ونصف القرن - تسببت في اندثارها. ومع اندلاع الحريق الأول في عام 48 قبل المسيح خلال المواجهة التي وقعت بين كليوباترا، وكان يدعمها يوليوس قيصر، وأخيها بطليموس الثالث عشر، التهمت النيران ما بين 40 000 و 400 000 كتاب.

وشهدت مكتبة الإسكندرية الترجمة الأولى للعهد القديم من اللغة العبرية إلى لغة الإغريق، وفيها أكد أريسطارك دو ساموس أنّ الأرض تدور حول الشمس، وحسب إيراتوستان محيط دائرة الأرض، واكتشف هيروفيلبوس أنّ العقل يحكم الجسد، واخترع إقليدس علم الهندسة.

ولعلّ المكتبة الجديدة تسعى إلى الحفاظ على روحية تلك المؤسسة التي اشتهرت شهرتها بهالة أسطورية. "إنّه لأمر رائع حقاً أن نرى من جديد، وسط الحروب المتعاقبة، وفي وقت يكثر فيه الحديث عن "تصادم الحضارات"، قيام مؤسسة في مصر، على بُعد أمتار قليلة من المكان الذي اشتهرت به مكتبة الإسكندرية القديمة. وهي مؤسسة سئعتنى كسابقتها بالمعرفة الكونية، وبقيم التفاهم المتبادل والتسامح"، يستنتج سراج الدين.

للحصول على صور عالية النوعية لمكتبة الإسكندرية:

www.unesco.org/bpi/alexandrina

الموقع الرسمي للمكتبة على الإنترنت:

<http://www.bibalex.org>

الموقع الإلكتروني لليونسكو حول مكتبة الإسكندرية:

http://www.unesco.org/webworld/alexandria_new/